أسرى البدائل القاتلة و الطرق المسدودة للإمبريالية و الأصوليّة الدينية :

وحدها الثورة يمكن أن تنقذنا من هذا الوضع

قبل أربع سنوات ، إختار ملايين الناس عبر الشرق الأوسط المخاطرة بأرواحهم بدلا منقضاء يوم آخر لعيش نفس الحياة التى أجبروا على أن يحيوها قبلا . و الآن يجد هؤلاء الناس أنفسهم مشلولين أو محشورين بين خيارين غير مقبولين : المزيد من نوع الأنظمة القديمة التى رفضوها من قبل أو الأصوليين الدينيين الذين لا تقلّ قسوتهم تجاه الجماهير عن قسوة المتعاونين مع القوى الإمبريالية الغربية التى يرغبون فى الحلول محلّها . و عن إشاداد النزاع بين الجانبين نجمت المجزرة تلو المجزرة . هناك طريق آخر ، طريق تحرّري للتقدّم إنّه طريق الثورة الشيوعية.

إنّ سير النظام الإمبريالي عينه هو الذى أفرز الأصوليّة الدينية للقرن الواحد و العشرين ، بما فى ذلك الإدعاء الكاذب للإسلام السياسي بأنّ الإجابة على الفساد و النفاق الأخلاقي و الإهانة الوطنيّة التى تفرضها الإمبريالية هو تطبيق نظام قائم على الشريعة حيث تكون للخرافة و للنظام الأبوي سلطة القانون . لقد إحتضنت القوى الإمبريالية الغربيّة هؤلاء أينما كان الأمر يتوافق و مصالحها و لكن الآن ظهرت القوى الإسلاميّة كأهمّ منافس و متحدّى إيديولوجي لترتيب الأوضاع السياسية الراهنة للمنطقة . و بإسم حماية الناس من الوحشيّة ، غزى هؤلاء الوحوش ذوى التقنية العالية أفغانستان و العراق و مالى و أرسلوا فرق الكومندوس و الطائرات دون طيار تثير الذعر فى الباكستان و اليمن ، و عاثت فسادا فى فى ليبيا و هم الآن يقصفون سوريا بالقنابل . ولم تفعل تدخّلات الإمبريالية و غزواتها و إحتلالها و مجازرها سوى تعزيز الإسلاميّين و جعلتهم يحظون بمزيد الإنتشار ، بالضبط مثلما يدفع الخطف الجماعي الذى يمارسه الأصوليّون و قطعهم للرؤوس بعديد الناس إلى الأحضان الساحقة للقوى الإمبرياليّة الغربية . و تعدّ هذه القوى الغربيّة العدّة بشكل سافر الرأي العام و جيوشها لخوض حرب أوسع نطاقا .

و يبيّن إلقاء نظرة على مصر و تونس و ليبيا و اليمن و أي مكان آخر فى المنطقة أنّه إذا لم توجد ثورة حقيقيّة ، ستنتهى الجماهير الشعبية إلى حتى المزيد من الظلاميّة و التخلّف المقرونين بالإهانة الوطنية و إنعدام الحقوق ، سواء إختاروا " رايات " السياسيين و الجنرالات المطيعين لأسيادهم الإمبرياليين الغربيين أو الإسلاميين الذين يريدون الحلول محلّهم . هذا الكابوس لا يمكن إلاّ أن يزداد سوء ما لم تقاتل الجماهير من أجل جرّ هذه المجتمعات إلى مسار مغاير كلّيا . حتّى خلال إنتفاضات السنوات القليلة الأخيرة ، لم يقدر الإصلاحيّون و السياسات و النظريّات الضيّقة أن تحشد بصفة متواصلة الشباب الغاضب غضبا عميقا و الفقراء المسحوقين الذين يمثّلون الغالبيّة فى الشرق الأوسط .

و اليوم وجبت مواجهة الخيارات السياسيّة المقرفة بخطّة لتغيير إجتماعي راديكالي ومع ذلك واقعي تماما قائم على تحليل علمي للمشاكل التى نواجه و على دروس التجارب الثورية السابقة . و إليكم جملة من المبادئ الجوهريّة التى يتطلّبها هذا التغيير الإجتماعي الراديكالي :

- يجب على التحرّكات الثوريّة للملايين أن تواجه و تتخطّى كلّ نوع من أنواع القوّة الرجعيّة ، مفكّكة و معوّضة ليس النظم المُلكية و التيوقراطية وحسب بل كذلك الأنظمة السياسيّة حيث البرلمان و المساواة الشكليّة يخفيان سيطرة الرأسماليين والملاّكين العقّاريين و حيث حياة الملايين عبر الشرق الأوسط مرتهنة بمراكمة رأس المال فى نيويورك و باريس و لندن و فرانكفورت . و يجب تشييد نظام سياسي مختلف تماما يخوّل للجماهير عمليّا أن تغيّر المجتمع و يضمن مشاركتها و يشجّع النقاش الحيوي و يثمّن المعارضة و يحمى الحقوق السياسيّة و الفردية للجماهير الشعبية بما فيها حقّ ممارسة أي دين أو نش الإلحاد .

- مثلما أثبت التجربة – من الجزائر ما بعد الإستعمار المباشر إلى الأسد الأب و الإبن و جمهوريّة إيران الإسلامية (و فنيزويلا) – الحديث عن القطيعة مع الإمبريالية بينما تبقى البلاد أسيرة السوق الإمبريالية العالمية مجرّد لغو . و ليس بوسع أي شعب ، سواء أعمى عينيه البترول أم لا ، أن يكون حرّا فى تسيير شؤونه دون نظام إقصادي جديد حيث تنتج الثروة من أجل تغيير المجتمع و العالم . و يحتاج الإقتصاد الجديد إلى ممارسة نموّ متوازن للتخلّص من منطق التبعيّة للإمبريالية و إصلاح التحطيم البيئي الكبير و المضيّ قدما على طريق جديد من التنمية المستدامة . و يجب أن يفتح ذلك الباب إلى نظام إشتراكي حقيقي بحيث تملك الجماهير الشعبية بصورة جماعية وتسيّر بصورة جماعية مقدرات الإنتاج خدمة لمصلحة المجتمع ككلّ . و هذا النوع من التغيير الإقتصادي غير ممكن دون تثوير الريف لإجتثاث السلطة الباقية للقوى الرجعيّة و تحويل إمكانيّة إرساء إقتصاد قويّ معوّل على الذات إلى واقع ملموس .

- و هذا يعنى و يمكّن من تطوّر ثقافة ثوريّة جديدة تجسّد أفضل ما أنتجته الإنسانيّة فى العلوم و الفنون و تناضل ضد كلّ الأخلاق و القيم الرأسمالية – الإمبريالية و الفكر الظلامي . ثقافة توحّد شعوب كافة القوميّات و تبرز كلّ ما هو إيجابي فى التقاليد المتنوّعة و المجتمعات التاريخية للجميع ليتمتّعوا به و يتعلّموا منه و يبنوا إنطلاقا منه .

- تحتاج عديد شعوب الشرق الأوسط أن تتوحّد فى نضال مشترك ضد مضطهِديها و ليس ممكنا لهذه الوحدة أن تتحقّق دون إجتثاث الإضطهاد القومي للأمازيغ (" البربر ") و الأكراد و الأقلّيات المضطهَدّة الأخرى و كذلك تحرير فلسطين من الإستعمار الإسرائيلي العنصري الشبيه بنظام الميز العنصري للأبارتايد .

- لقد بات حقّا تحرير النساء من النظام الأبوي و الهيمنة الذكوريّة و كلّ أشكال الإهانة و القهر و الدونيّة ،" المعاصرة " منها و القروسطيّة ، أحد أحدّ خطوط التمايز فى المنطقة و فى العالم . و غالبيّة " يساريي " المنطقة قد فوّتوا على أنفسهم فرصة الإستفادة من هذه القوّة الكامنة الهائلة بمحاولة تفادى الصراع مع التفكير الشائع المتخلّف لدى الجماهير . و يحتاج النضال من أجل إلغاء إضطهاد النساء لأن يكون قوّة محرّكة فى تغيير المجتمع الآن و على المدى البعيد.

- ينبغى إظهار الحقيقة بشأن الثورات الإشتراكيّة للقرن العشرين و التجربة التحرّرية لقرن و نصف القرن من الشيوعية الثوريّة . فقد حقّقت الدول الإشتراكية سابقا مكاسبا عظيمة الشأن فى تمهيد الطريق لعلاقات مختلفة بين الناس وهي أرقى من أن تقارن مع أيّة دولة قائمة اليوم . و نحتاج أن نتعلّم الدروس من النقائص و الأخطاء و كذلك من تلك المكاسب و ذلك بُغية إنجاز ما هو أفضل فى الموجة التالية من الثورات . و قد تقدّم بوب أفاكيان بالخلاصة الجديدة للشيوعية التى تعالج هذه التجربة و تقترح فكرة أوضح عن الشيوعية كعلم و كمقاربة للثورة الإشتراكية المعاد تصوّرها و هذه الخلاصة الجديدة للشيوعية محور نقاش متزايد على النطاق العالمي . و لا بدّ للثوريين فى الشرق الأوسط ، وكذلك فى كلّ مكن آخر ، أن يخوضوا فيها كجزء من نحت طريق تقدّم مختلف .

يحترق ملايين لا حصر لها و لا عدّ من الشباب و غير الشباب بنار الإهانات . و الأصوليّة الدينية مأساويّا توجّه هذا الغضب القابل للإنفجار نحو نظرة و برنامج لا يؤدّيان إلى أي شيء إيجابي . ما يترتّب علينا أن نقدّمه للشباب و للذين يقبعون فى قاع المجتمع ، و فى الواقع للناس عبر المجتمع بأسره ، هو فرصة التحوّل إلى محرّرين للإنسانية ، إلى باحثين عن تغيير الكوكب بلدا بلدا كجزء من السيرورة العالمية و هدفها الأسمى هو الشيوعية . و هذا يعنى كما وضع ذلك الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية : " عالم حيث يعمل الناس و يناضلون من أجل الصالح العام ؛ حيث يساهم كلّ فرد بكلّ ما بوسعه المساهمة به فى المجتمع و يحصل على ما يحتاجه ليعيش حياة تليق بالإنسان ؛ حيث تكفّ عن الوجود الإنقسامات فى صفوف الناس التى تجعل البعض يتحكّمون فى الآخرين و يضطهدونهم سالبينهم ليس وسائل العيش الكريم و حسب بل أيضا المعرفة ووسائل الفهم الحقيقي للعالم و العمل على تغييره ".

إن هزّت ضربات تحرّر حقيقيّة الشرق الأوسط فإنّها سترجّ العالم و تبعث الحماس فى صفوف المضطهَدين فى كلّ مكان. فللمضطهَدين إخوة و أخوات فى كلّ أنحاء هذا الكوكب – لاحظوا موجات التمرّد فى المكسيك و النضالات المتنامية ضد القمع فى الولايات المتّحدة .

لقد لمحنا تطلّع الشعوب إلى تغيير شامل فى الإنتفاضتين اللتين أطاحتا ببن علي و مبارك . فزلزلتا المنطقة بأسرها و بعثتا رسالة أمل فى تغيير حقيقيّ منشود عبر العالم . لقد أخذ النظام السياسي القديم يتصدّع لكن الحاجة إلى تركيز نوع جديد راديكاليّا من الدولة و المجتمع لم يقع فهمها الفهم الجيّد . سواء بالأشكال القديمة أو الجديدة ، فإنّ الظلم و الإهانات التى إنتفضت الجماهير الشعبيّة ضدّها هي اليوم أسوء حتّى . و لئن بات فهم المشكل الحقيقي و الحلّ الحقيقي قوّة فعليّة ، ألن يمكن للثورة أن تصبح إمكانيّة واقعيّة ؟ و الراية التى تمثّل هذا الفهم الأساسي فى تعارض كلّي مع الأوهام الإسلاميّة و واقع الهيمنة الإمبرياليّة ، يمكن على المدى البعيد أن توحّد الغالبيّة العظمى من الشعوب – فى البلدان و المنطقة و العالم – ضد أعدائها الحقيقيين . والآن بالذات يمكن أن توظّف كقطب موحّد مرحّب به من طرف الجملهير التى تشهد إقسامات و يقع سحثها و تصادر آمالها أكثر فأكثر . هذه الراية قادرة اليوم على الشروع فى قلب الديناميكية المميتة . وحقيقة بالرغم من أنّ هذا الطريق يبدو وعرا و شائكا ، فإنّه لا وجود لطريق آخر للتحرّر من جنون عالمنا الراهن ./ .

Contact: rcmanifestogroup@yahoo.co.uk Check out: www.revcom.us